ملامح التطوير في الأسلوب الصحفي

للإمام - محمد عبده

بقلم الدكتور حلمي حسن أبو العز

مدرس الأدب والنقد

في كلية اللغة العربية بدمنهور

ما المخلصون النابهون وقادة الإصلاح في أمة من الأمم، إلا نجوم ليلها، وطوالع سعدها، بل ودرها المنظوم عقدا زاهيا على صدرها، فبهم تزهو وبعملهم ترقى، وبعلمهم تسود وبفكرهم الناضج وبصيرتهم الرشيدة تنال عزها وجلالها.

ولقد توارث شعب مصر ألوانا من الحضارات، وبقيت على أرضه آيات فنية، تشهد على مدى التاريخ بريادة العبقرية المصرية وقدرتها على اجتياز الصعاب، وتخطي كل ما يواجه البلاد من محن أو أرزاء.

وما كان بعيداً على شعب كهذا، أن تلتقي أفكار المخلصين من أبنائه في القرن التاسع عشر، وأن يسهم النابهون منهم — خلال تلك الحقب الزمنية — بكل ما أوتوا من طاقات وجهد، في إصلاح ما أفسد وتقويم ما اعوج. ووضع الملائم من الخطط أو المبادىء التي تؤدي في النهاية إلى جني أطيب الثمرات، لخير ما بذرته أيديهم من غراس، سياسية أو اجتماعية أو ثقافية.

وكان طبيعياً أن تبرز إلى سطح الأحداث آنذاك بعض الحركات الشعبية

الممثلة ليقظة الوعى القومى ، والمجسدة لما يتفاعل فى أعماق الشعب . من الرغبة فى حماية الكيان المصرى من معاول الدخلاء والجاثمين على كراسى الحكم من غير أبناء البلد المخلصين .

فألفت الهيئات الشعبية ، والجمعيات الوطنية والخيرية لرأب الصدع ، والتصدى لكل مايدور على مسرح الحياة المصرية فى هذه الفترة من طغيان النفوذ الأجنبى ، أو انهيار الاقتصاد الوطنى ، وتغلغل الجهل ، وسريان الفساد فى أرجاء البلاد .

وحين بدت مسيرة الإصلاح الوطنية لتلك الجماعات والهيئات المصرية كان الشيخ الإمام محمد عبده من أبرز الرواد فى تلك المسيرة الإصلاحية ، إذ بدا مصدراً لجهود وطنية مخلصة ، ومنبعا لأكثر من رافد خيرى ، ساهم بها فى بث الوعى القومى ، ويقظة الفكر المصرى بخاصة ، وازدهار الحركة الثقافية فى أرجاء الوطن العربى بعامة .

ولا شك فى أن ظهور الصحافة المصرية الشعبية أو الحرة فى القرن التاسع عشر ، كان رد فعل طبيعى ، وصدى حقيقا لصوت الرأى العام آنذاك ، وأن مقومات النهضة الفكرية التى صاحبتها قد تدرج على مسرحها الزمنى كثير من أعلام الكتابة فى مجالات الآداب والعلوم ، أمثال :

السيد إسماعيل الخشاب ، محرر صحيفة التنبيه ، والشيخ أحمد فارس الشدياق صاحب جريدة « الجوائب » و « السيد شهاب الدين » صاحب جريدة السفينة ، والشيخ عبد الكريم سليمان ، والشيخ حسن العطار ، وغيرهم ممن كانوا يشاركون الشيخ محمد عبده فى تحرير جريدة « الوقائع المصرية » والكتابة فى جريدة « ثمرات الفنون » أو « مصر » أو « المنار » أو « المؤيد » أو غير هذه الجرائد من المجلات ، كمجلة « روضة المدارس » التى أنشئت فى عام ١٨٧٠ م وكانت تحفل بنخبة من الأدباء والعلماء أمثال :

عبد الله فكرى ، وإسماعيل الفلكى ، وعلى مبارك ، وبدر الحكيم ، ورفاعة الطهطاوى ، وكان لكل منهم مقالات طويلة فى صورة حلقات فى موضوع كالكتاب المستقل(١) .

وغير هؤلاء كثير ممن زخرت بهم الصحف المصرية والعربية ، وتدفق مداد أقلامهم بالحماسة والوطنية ، بسبب الحركة السياسية بخاصة ، فى أواخر عهد إسماعيل وأوائل أيام توفيق لاسيما بعد نزول السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر ، والتفاف هؤلاء الصفوة من الرواد حوله ، وبثهم ألوان الوعى فى أرجاء البلاد(٢) .

وإذا كان من الإنصاف القول بأن كل واحد من هؤلاء الأدباء والعلماء والمفكرين المشاركين فى تحرير تلك الصحف وغيرها ، كان له دوره فى دفع عجلة التقدم ، وبث إشعاعات الوعى بين جموع المواطنين ، فإن جهود الإمام محمد عبده الصحفية — على مدى ثلاثين عاما — كانت واسطة العقد فى تلك الجهود ، أو إن شئت فقل: إنها كانت العلامة المميزة فى نهضة الصحافة المصرية بعامة فى القرن التاسع عشر .

وحتى نؤكد قولنا هذا ، ولا يبدو فى القول ما يشبه المبالغة فسوف أكتفى بالسرد الموجز لعدة نقاط كانت الوسيلة — فى نظرى — إلى هذه النتيجة ، والمبرر لحكمى على الجهود الصحفية للشيخ محمد عبده — وحده — بهذا القول ، ومن أهمها :

* أن الصحافة المصرية الوليدة — التى سبقت الكتابة والجهود الصحفية

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية — جورجى زيدان — جـ ٤ صـ ٤١٢ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٦٠٩

للشيخ — بدأت مغلة بالقيد الحكومى والأوامر الرسمية ، منذ أنشئت جريدة « الوقائع المصرية فى عهد محمد على » عام ١٨٢٨ ميلادية ، ثم توقفت الجرائد والمجلات تماما فى وادى النيل فى عهدى « عباس وسعيد »(١) أى فى المدة (١٨٤٩ — ١٨٦٣ م) .

وبناء على هذا ، فإننا نرى أنه لا يمكن أن تتضح من خلال هذه الفترة كاملة (١٨٢٨ — ١٨٦٣ م) ملامح النهضة الصحفية فى مصر ، وإن أمكن اعتبار فترة ظهور جريدة « الوقائع المصرية » منها : أول مشعل على طريق هذه النهضة .

« ظهرت الصحافة المصرية الحرة أو الشعبية مع بداية عهد إسماعيل ١٨٦٣م ، واستمرت أيام الاحتلال حتى عام ١٩١٤م (فى عهـــد اللورد كتشنر) أى حوالى نصف قرن ، حيث أغلقت أبواب الكثرة الهائلة من الجرائد والمجلات ، ولم يبق منها بمصر غير عدد قليل يعد على أصابع اليد(٢) .

« كانت بداية الجهود الصحفية الإمام محمد عبده فى جريدة «الأهرام» عام ١٢٩٣ هـ — ١٨٧٦ م ، أى بعد ثلاثة عشر عاماً فقط من ظهور الصحافة الحقيقية كما أسلفنا .

وهى تعد أول مرحلة استعداد وتهيؤ للانطلاق والتطور الصحفى ، فنياً وفكرياً ، وكان قد مضى على وجود الشيخ جمال الدين الأفغانى فى مصر ، سبعة أعوام ، نهل خلالها الشيخ محمد عبده ورفاقه من روافده العلمية ، واستقوا من ينابيع فكره ومعارفه ، فى كل مجال ، مما هيأ الشيخ

---

(١) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٤١٢

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٢١

المصرى محمد عبده لوضع خطته وبدء جهوده الصحفية ، وكان قد ناهز الثلاثين من عمره .

« أخذت الصحافة المصرية فى ارتقاء درج كمالها ، وبلوغ أوج عظمتها مع بداية عام ١٨٩٢م ، أى بعد ستة عشر عاماً من بداية كتابات الشيخ محمد عبـــده الصحفية فى جريدة « الأهرام » : كان قد اكتمل خلالها نضجه الفنى الفكرى ، فدنا لقلمه عرش الكتابة الصحيفة ، وأخذت تنساب بيسر إشعاعاته الغابضة بالحرية وجوانب الإصلاح فى الحياة ، إلى ذوى العقول النابهة والأقلام الحرة ، إبان تلك النهضة العظيمة ، التى يقول عنها صاحب تاريخ آداب اللغة العربية(١) « إن عدد الصحف التى صدرت فى الثمانى سنوات الأولى من هذه الفترة (١٨٩٢ م — ١٩٠٠ م) نحو مائة وخمسين صحيفة ، أى نحو ما صدر قبلا فى ثلاث وستين سنة » .

« ثم هناك أمر أخير وهام ، وهو : تفرد الشيخ محمد عبده — دون سواه — باتخاذه الصحافة وسيلة لغاية كبرى ، ومنبراً لهدف نبيل ، سعى بكل جهده لتحقيقه وجنى الأمة ثمراته ، وهذا ما يوضحه قوله :

ارتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين :

أولهما : تحرير الفكر من قيود التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة ، قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفها إلى ينابيعها الأولى .

ثانيهما : إصلاح أساليب اللغـــة العربية فى التحرير » وهو ما نقوم بمعالجته فى بحثنا هذا) .

وأعتقد أنه قد اتضح لنـا من خلال هذه النقاط الست أهمية الدور

---

(١) المصدر نفسه جـ ٤ صـ ٤١٩

الذى قام به الشيخ محمد عبده فى نهضة الصحافة المصرية والعربية فى القرن العشرين وكيف أنه كان ذا اتجاه إصلاحى محدد الهدف ، بارز الغاية فى عمله وجهده الصحفى ، وأنه يميز — وحده — بهذا الاتجاه ، وإن شاركه الرواد من رفاق عصره الكتابة فى تلك الصحف بأقلامهم ، أو الدعوة — مثله — بألسنتهم ، إلى تحرير الوطن ، ويقظة الغافلين من أبنائه : سياسيا . أو دينيا ، أو اجتماعيا ، أو ثقافياً ، مما يدفعنا إلى القول بأنه : ما كان لمثل هذه الصحافة المصرية أن تضطلع بهذه المكانة المرموقة ، أو أن تؤتى ثمارها المرجوة وتتسع رقعتها فى هذا الوقت القصير من القرن التاسع عشر لولا تلك الإشعاعات الفكرية الناضجة ، والطاقات الإيمانية الصادقة والآراء الحرة الشجاعة التى بدت فى الأسلوب الصحفى للإمام محمد عبده أكثر من سواه .

فأيقظت الكثير من ذوى العقول الغافلة ، وكبحت جماح الكثرة الغالبة من أولى الأذهان الشاردة والأفئدة الضالة ، وساهمت فى إنماء العديد من المواهب الشابة ، والقرائح الفتية ، وعملت على ارتقاء درجات الوعى الشعبى ، فى شتى المجالات ومختلف الميادين ، ولعل ذلك هو الذى يقصده الإمام محمد عبده بقوله : « لقد أخذت الحرية الفكرية تظهر فى الجرائد إلى درجة يظن الناظر إليها أنه فى عالم الخيال »(١) .

وبإيجاز شديد يمكن القول : إنه إذا لم تكن هـــذه الآثار الصحفية الرائعة ، قد حققت الغاية منها ، فعملت على يقظة الوعى الدينى ، واللغوى والسياسى ، والاجتماعى فى قلوب وأفكار الشعب المصرى بجهود الإمام محمد عبده — وحده — فإنها على أقل تقدير ، لم تتحقق بدونها ، أو بعيدة عن دائرة ضوئها ، حيث كانت إلهامات شيخه الأفغانى تشعل مصابيح المعرفة لراغبى السير فى هذا السبيل .

---

(١) تاريخ العصر الحديث — لمحمد صبرى — صـ ١٥١

ومن هذا المنطق يبدو سر اهتمامنا بدراسة الأسلوب الصحفى الذى راض لقلم الشيخ الإمام ، واكتسى بمداده أروية متباينة من وسائل التعبير وطرائقه ، خلال مواكبته ومعالجته لأهم الأحداث والقضايا الدائرة على أرض وطننا العربى قرابة ثلاثين عاماً ، ممثلة للربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين .

وحتى نتعرف على النتائج من خلال المقدمات ، ونصل إلى المسببات بعد وضوح الأسباب ، فسوف نلقى — بقدر ضئيل — بعض الأضواء على الجانب التعليمى والثقافى — فقط — لشيخنا المصرى : محمد عبده ، فيها دون شك تتكشف لنا أهم العناصر المؤثرة فيه أو على الأقل بعض الاتجاهات التى هيأته لهذه الأدوار الرائدة وجرت فيه تلك المواهب المتباينة ، ومنحته تلك الصلاحيات الجليلة ؛ فجعلت منه هذا الصحفى اللامع ، واللغوى الأديب والناقد المجدد فى الأساليب وطرائق التعبير .

هذا إلى جانب قدراته الفذة فى العلم والقضاء والإفتاء ، وأيضاً بروزه فى دور الداعية الإسلامى ، والمفكر السياسى ، والمصلح الاجتماعى وغير ذلك من السمات التى لا يتسع المقام لأكثر من مسمياتها .

بداية الطريق

تحدثنا كتب التراجم أن الشيخ محمد عبده ، ولد فى « حصة شبشير » من قرى محافظة إقليم الغربية عام ١٢٦٥هـ — ١٨٤٧م (فى أرجح الأقوال)، وأن نشأته كانت فى قرية « محله نصر » من قرى مركز سبراخيت بإقليم البحيرة ، حيث نشأت أسرته من قبله .

أما فى مجال تعلمه فيقول الشيخ عن نفسه : « تعلمت القراءة والكتابة فى منزل والدى ، ثم انتقلت إلى دار حافظ للقرآن ، فقرأت عليه وحدى جميع القرآن أول مرة ، ثم أعدت القراءة ، حتى أتممت حفظه جميعه فى مدة سنتين .

وبعد ذلك حملنى والدى إلى طنطا ، حيث كان أخى لأمى : الشيخ « مجاهد » ، لأجود القرآن فى المسجد الأحمدى ، لشهرة قرائه بفنون التجويد ، وكان ذلك سنة ١٢٧٩ هـ ، وفى سنة مائتين وإحدى وثمانين بعد الألف من الهجرة ، جلست فى دروس العلم وقضيت سنة ونصف السنة لا أفهم شيئاً ، لرداءة طريقة التعليم فأدركنى اليأس من النجاح ، وهربت من الدروس ، واختفيت عند أخوالى مدة ثلاثة أشهر » .

ثم يعود الشاب إلى « محلة نصر » ويتزوج سنة ١٢٨٢هـ ، على نية عدم العودة إلى طلب العلم ، ولم تفلح معه محاولات أخيه « مجاهد » عن العودة به إلى الجامع الأحمدى . لاستئنافه الحياة التعليمية ، كما لم يمنع إصرار والده على تعليمه ، من محاولاته الكثيرة للهروب . وقد ساعده على ذلك : ميله إلى الانطلاق بين أترابه ، وتنمية هواية اللعب بالسلاح والفروسية اللتين اشتهر بهما بين شبان قريته تماما كاشتهاره بالسياحة(١) .

---

(١) الأزهر وأثره فى النهضة الحديثة ، دكتور كامل الفقى ، ص ٢٢١

ويظل محمد عبده فى عماية الفتى . إلى أن يشاء الله له الهداية ، فتنفذ إشعاعات الرضى الإلهى إلى قلبه على يد الشيخ « درويش خضر » الشاذلى الطريقة ، وتتحول بلقاءاته لهذا الشيخ وجهته فى الحياة ، حيث يتحدث الشيخ عن ذلك فيقول :

« إنه مفتاح سعادتى إن كانت لى سعادة فى هذه الحياة الدنيا ، وهو الذى رد لى ما كان من غريزتى ، وكشف لى ما كان خفى عنى مما أودع فى فطرتى »(١) .

وفى منتصف شهر شوال من سنة ١٢٨٢هـ ، يذهب محمد عبده إلى الأزهر للدراسة ، ملتمسا المعرفة الكاملة والتزود بالعديد من العلوم ، والتفقه فيها على يد أصحابها وذويها .

ويبقى كذلك إلى أن يصل إلى مصر . الأستاذ الشيخ : جمال الدين الأفغانى ، أواخر عام ١٢٨٦هـ ، فتبدأ بلقائه إشراقات الحياة لتلميذه الشيخ : محمد عبده ،

الأستاذ والتلميذ :

قيض الله للفتى « محمد عبده » فرصة وجود هذا العالم الجليل ، الذى استطاع أن يبصر تلميذه بهذا العالم ، بعد أن عجز الأزهر أن يبصره به .

وكان « محمد عبده » قد ناهز الثلاثين من عمره ، حين تولى جمال الدين الأفغانى : تعليم « المنطق والفلسفة » فى الأزهر ، وكذلك علوم « الحكمة

---

(١) الإسلام والتجديد « لعلى عبد الرازق ، ص ٢٥

والكلام ، بعد نضوب معينها عدة قرون . فأخذ لنفسه مكانا بين الجالسين من تلامذته ، ينهل من علمه ويرتوى من فضله(١) .

وأدرك الشيخ ما كان عليه تلميذه من الذكاء ونضج الفكر ، وسداد الرأى ، ولمح فيه قوة الإرادة ، والتطلع إلى الإصلاح والتجديد فخصه بعطفه ، والمزيد من توجيهاته وإرشاده .

وقد صادف ذلك هوى فى نفس التلميذ العبقرى ، فحرص على دوام اللقاء به ، والإنتفاع بهديه ، كما كان أسبق تلامذته ، وأبرعهم علما ، وأكثرهم فضلا ، حتى أحرز شهادة العالمية عام ١٢٩٤ هـ .

وأخذ الشيخ محمد عبده يرقى بخطاه الرتيبة درج الحياة الجديدة ، التى كان لأستاذه الأفغانى فى فضل توجيهه إليها أعظم قدر وأوفى نصيب ، إذ نراه يقول فى هذا المقام :

« إن أبى وهبنى حياة يشاركنى فيها « على » و « محروس » (وهما أخواه المزارعان) ، والسيد جمال الأفغانى ، وهبنى حياة أشارك فيها : محمداً وإبراهيم وموسى وعيسى ، والأولياء والقديسين »(٢) .

---

(١) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ، للشيخين : الاسكندرى وعنانى ، ص٣٣٨

(٢) زعماء الإصلاح ، لأحمد أمين ، ص ٢٩٩

فى محراب الصحافة :

توطدت العلاقة بين الشيخ الأفغانى وتلميذه الشيخ المصرى كما أسلفنا، فكان محمد عبده ، لا يفارق مجلس أستاذه ، ولا يمل الاغتراف من علمه وفضله .

وكما كان للشيخ الأفغانى الفضل فى تلقين الشيخ المصرى : العلوم الدينية، واللغوية ، والفلسفية ، فى رحبات الأزهر الشريف، فقد كان له الفضل أيضاً فى تبصيره بأمور السياسة ، ورسم الطريق الصحيح لاستقلال البلاد أنذاك حيث كانت ترزح تحت نير الأجنبى ، وتئن من وطء أقدام الدخلاء .

ولقد كان جمال الدين الأفغانى لا يضن على جلساته وطلابه بحسن التوجيه ، والأخذ بأيديهم صوب منافذ الحكمة فى معالجة الأمور ، إذا ما اعتملت فى نفوسهم دوافع الحرص تجاه وطنهم ، وما تعانيه البلاد من ويلات .

وكان لابد لهذه الغراس أن تثمر وأن تؤتى أكلها وأن تبدو لتلك الجلسات أثارها الفعلية فى تهيئه المناخ الملائم لترجمة المشاعر والأحاسيس، التى تكاد تنصهر فى أعماقهم ، فأخذ يتسابق أهل العلم وأرباب الأقلام ؛ على التحرير ومواصلة الكتابة الصحفية ، وبخاصة فى تلك الجرائد التى كان للشيخ الأفغانى الفضل فى التوجيه والمشاركة الفعلية فى إبرازها إلى الوجود : مثل جريدتى : « مصر» و« التجارة » اللتين أوحى بإنشائهما إلى السيد أديب إسحاق ، وكان له بجانب الإشراف على إخراجهما ، مقالات متعددة ،تارة بإمضاء «مظهرين وضاح» كما فى جريدة «مصر»(١) وتارة بإمضائه الحقيقى

---

(١) أدب المقالة الصحفية فى مصر — دكتور عبد اللطيف حمزة — ج ١ ص ٣٠

كما فى جريدة «التجارة» حيث كان يشاركه الكتابة فيها : الشيخ محمد عبده ، وإبراهيم اللقانى .

هذا بالإضافة إلى جريدة « أبو نضارة » التى كان يصدرها « يعقوب صنوع » فى ثوب . سياسى هزلى ، وكذلك جريدة : « العروة الوثقى » وهى التى اشترك فيها الشيخان : الأفغانى والمصرى ، فى باريس .

وغير ذلك من الجرائد والمجلات التى تجسدت بها جميعها ملامح النهضة الصحفية الحقيقة ، وأخذت بالفعل تشق طريقها فى مصر وغيرها ، مقتفية نهج الاستاذ الأفغانى ، ومشاركة تلميذه المصرى « محمد عبده » ، ومترسمة تلك الخطا الإصلاحية المتعددة بتعدد مجالات الحياة فى البلاد آنذاك .

محمد عبده وإتجاهاته النقدية :

شغلت الكثرة الهائلة من كتابات وأقوال الشيخ الإمام عن نظرات ثاقبة ، وآراء نقدية صائبة ، فى كثير مما كانت تقع عليه عيناه ، من واقع الحياه التى يعايش أحداثها : السياسية والاجتماعية ، والأدبية ، والدينية .

وكان يساعده فى سداد الرأى ودقة الملاحظة فيما يقول أو يكتب : محصلة ثقافية متعددة الروافد ، كما كان ذاملكة قوية وموهبة فذه ، فإذا ما أضفنا إلى هاتين الدعامتين : قلبا عامرا بالإيمان ، ورغبة أكيدة فى الإصلاح وحب الوطن ، فإننا يمكن أن نستشف صدق نظرته ، ونتبين عمق ملاحظته ورأيه فى مختلف الاتجاهات والميادين التى خاضها بقلمه ولسانه من أجل الإصلاح والارتقاء بأمته ، وشعوب وطنه العربى الكبير .

وحتى لا يبدو فى القول تكرار ، أو يتراءى فى هذا الإجمال شىء معاد ، فسوف نترك أمر نقداته : السياسية ، والدينية والاجتماعية فى مقامها

من المقالات الصحفية المختارة (التى سنتناولها فى بحثنا هذا ان شاء الله) ، كما سنترك للراغبين فى البحث ، والطالبين لمزيد من المعرفة ، تتبع باقى نقداته فى ، كتبه وخطبه ، وباقى مقالاته الصحفية ، فهو مجال خصب للدراسة وجدير بالتنقيب عنه والنفع به .

وحسبنا فى هذا المقام أن نميط اللثام عن أحد ألوان النقد الهادف إلى الإصلاح اللغوى ، وما ينبغى ان تكون عليه أساليب الكتابة ووسائل التعبير ، فى نظر الشيخ محمد عبده ، سواء أكان ذلك فى المخاطبات الرسمية ، أم فى المراسلات بين الناس .

وأعتقد أن ذلك يبدو بوضوح فى تلك الكلمات الموجزة والمنطوية على حماية اللغة العربية من الضياع ، والداعية إلى طمس ملامح الفساد التى استشرت فى أساليب الكتابة آنذاك ، فيقول :

« وكانت أساليب الكتابة فى مصر ، تنحصر فى نوعين ، كلاهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب :

أولهما : ما كان مستعملا فى مصالح الحكومة وما يشبهها ، وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات : رث ، خبيث ، غير مفهوم ، ولا يمكن رده الى لغة من لغات العالم ، لا فى صورته ولا فى مادته .

ثانيهما : ما يستعمله الأدباء ، والمتخرجون من الجامع الأزهر ، وهو ما كان يراعى فيه السجع وإن كان باردا ، ونلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس ، وإن كان رديئا فى الذوق ، بعيدا عن الفهم ، ثقيلا على السمع ، غير مؤد المعنى المقصود »(١) .

---

(١) أدب المقالة الصحفية فى مصر ج٢ ص٦٥ والفكر الاسلامى الحديث — محمد البهى — ص٩٩ وما بعدها

وهى — كما نرى — سهام رامية ، تدفعها يد صناع إلى مواطن الفساد فى أساليب اللغة ، وسوء توظيفها أو استخدامها بيد من هم أولى بحمايتها ورعايتها من ذوى الأقلام فى المصالح الحكومية ، أو المتخرجين من الجامع الأزهر ، أو من احترفوا كتابة الأدب ، فينعى عليهم ما يقدمونه فى هذا المجال من أعمال ، حيث تتطلع إليهم الأنظار ، ويستمد النشىء من نطقهم وأساليب كتابتهم ، زادهم من العلم ، والمعرفة ، وأصول لغتهم ودينهم .

كما تشف نقدات الشيخ عن عمق فهم ، ونفاذ بصر وبصيرة فى أمور اللغة وأصولها ، ودقة فى الذوق الأدبى ، ورغبة فى إظهار ملامح القوة وسمات الصحة التى يجب أن يتحلى بهـا الأسلوب الصحفى أو غيره فى عصره ، بعد أن أصبح غير مقبول — فى نظره — حتى من سدنة اللغة وحماة صرحها .

وعلى كل ، فإذا كانت هـذه الكلمات النقدية الموجزة ، فى عبارات الشيخ ، هى مؤشرات القبح ورداءة الأسلوب فى نظره . كما أسلفناه فإن هذا يدعونا إلى أن نلقى الضوء على مقالات الإمام الصحفية ، حتى نتبين فيها مواطن القوة التى ينشدها وسمات الجمال التى ينفر من سواها فى الكتابة وبخاصة فى هذا النوع الأخير من أساليب الكتابة بأقلام الأدباء والكتاب الأزهريين .

وأعتقد أنه يمكننا أن نتبين لون أساليبه إن كانت قد برئت من تلك العيوب أم لا ، وذلك على ضوء اتخاذنا من حكمه على أساليب غيره ، حكما ضمنيا آخر على أساليبه وكتابته الصحفية المختارة ، والتى سنتناولها فى مقامنا هذا إن شاء الله .

مقالات الإمام الصحفية :

الواقع أن مقالات الشيخ محمد عبده ، قد سايرت موكب حياته ، وتدرجت مع مراحل عمره ، منذ كان طالبا للعلم فى الجامع الأزهر ، ثم دخوله فى طور العمل ودعوته لإصلاح الفساد فى مصر ، ثم ما كتبه بعد محنته ونفيه من وطنه مشاركا لأستاذه الأفغانى فى باريس للاصلاح الإسلامى العام ، ثم ما كان بعد عودته إلى مصر ، وتجسيد أسلوبه الصحفى لكل ما يهدف أو يدعو إليه من إصلاح فى مختلف المجالات حتى نهاية عمره .

وقد اتضح لنا من كتابته الصحفية خلال هذه المراحل المتعددة ، أن أساليبه فيها قد تباينت أشكالها ، وتفاوتت درجات جودتها ، وأنها لم تلتق — فى البداية — مع نقداته وأهدافه الاصلاحية فى الأسلوب الذى ينشده ويدعو إليه ، بل إنه لم يستطع أن يحول بحرارة عاطفته دون برودة السجع فى مقالاته الأولى ، أو ينأى برقة حسه وسلامة ذوقه ، عن ضروب الجناس وكدها لأذهان القراء ، وما يصحبها من بعد عن الفهم ، وثقل على السمع كما يقول عن كتابات سواه .

الأمر الذى يشير بوضوح إلى أن مرحلة حماسة الشيخ وكامل غيرته على اللغة من قبح الصنعة اللفظية وكثرتها فى أساليبها ، كانت مرحلة تالية لبدء كتابته الصحفية .

وهذا ما يفسر لنا أن أسلوبه لم يأخذ فى التحرر من تلك القيود اللفظية والمعنوية ، إلا بعد أن قطع أشواطا غير قصيرة فى هذا السبيل ، ثم كان الارتقاء بعد ذلك على مدارج الكمال ، فى الشكل والمضمون لأساليبه وكتاباته .

وسوف نتدرج مع مقالات الشيخ محمد عبده، ونساير مراحل كتاباته الصحفية، حتى تتكشف لنا تلك الملامح التى تطور بها أسلوبه الصحفى، والتى كانت دافعا لترسم الخطا واقتفاء الأثر فى بعده.

ولنتأمل قليلا فى هـــذه المقالة التى نشرتها له جريدة «الأهرام» الأسبوعية(١).

وهى أول كتابته الإنشائية فى الجرائد وكان أيامها مجاوراً فى الأزهر الشريف، وقد نشرت له بعنوان: «تقريظ الأهرام»، وهذا نص المقال:

«إنه لما نظر لدى كل قاص ودان، واشتهر بين بنى نوع الإنسان، أن مملكة مصر كانت فى سالف الزمان، مملكة من أشهر الممالك، وكعبة يؤمها كل سالك وناسك، إذ كانت قد اختصت بتربية العلوم، وبث المعارف المعلقة بالخصوص والعموم، وانفردت بالبراعة فى الصنائع، والابتكار فى أنواع البدائع، فكان أبناء العلم ينتدون نداها، ويستجدون جداها، يستمطرون من الغيث قطرا، ويستمدون من المحيط نهرا، فكان التمدن فيها كهلا، حين كان عند غيرها طفلا، ولا زالت كذلك حتى زها فيها التمدن وأعجب، إذ رأى الطالبين تنسل إليه من كل حدب، وأن ملوك الأرض خدام عتبته، والكيانين تحت قبضته فاستكبر واعتلا، ولكؤوس الراحة اجتلا، فأقصته إلى ممالك الغرب، ليذوق مرارة الشغب أو اللغب، ويتعرف بذلك ويتأدب، فبدا بتلك الممالك غريبا، ونادى معلما فوجد مجتبا، وتناوشته أيدى الجاحدين، ولفحته أقوال المنكرين، ولازال

---

(١) أنظر العدد الخامس فى السنة الأولى بتاريخ (١٤ من شعبان ١٢٩٣هـ سبتمبر ١٨٧٦م)

يحتمل أنواع المتاعب ، ويقاسى مستعصيات المصاعب، إلى أن بلغ بها أشده وملك رشده ،وسار فيها شرقا وغربا ،وخامر ألباب القوم حباً فعم انتشاره وبدت آثاره ، وتلألأت أنواره .

وإذ تحلى بحلل الجمال ، وتتوج بتاج الكمال، وقضى مدة السياحة وباء بغاية الراحة ، استدار الزمان كهيئته ، ورجع الأمر إلى بدايته وقفل التمدن إلى مسقط رأسه ، ومقر تربيته ، فورد ديار مصر ورود الأهلى ، وتمكن بها تمكن الأصلى ، فاستقبلته الديار بغاية المسرة وأكرمت مثواه وأعظمت أمره ، واستردت ما كانت فقدت ، وأدنت ما كانت أنأت ، وأحلته محل القرب، وأنزلته سواد اللب، فقام يؤدى حق خدمتها ،ويوفى شكر كرامتها ، فنظر إلى ما كان أبداه فى تلك الأزمان ، من شواهق البنيان ، التى كم بلغت الاسباب ، وحيرت الالباب ، وأنبأت بما فيها ، عن براعة بانيها ، وفتقت بغيها ، أن آيات الكمال فيها .

فلما أعجب بالمثال ، حداه حادى الكمال ، لان ينسج على هذا المنوال، فأنشأ لنا جريدة « الأهرام » ، المؤسسة على أحكم قواعد الإحكام ، الكافلة بإرشاد المسترشدين ، وتنبيه الغافلين ، بما فيها من المبانى الرقيقة ، والمعانى الدقيقة ، والأفكار العالية ، المؤيدة بالبراهين الشافية ، القائمة بنشر العلوم بين العموم ، فيالها من جريدة أسست قواعدها فى القلوب، وامتدت مبانيها لكشف الغيوب .

وفى نهاية المقال نجد الطالب الأزهرى : محمد عبده ، يبدى فائض الإعجاب بإنشائها ، ويجعل تحت أضواء قوله محاسنها ، فيقول :

« هذا إيجاز فى مزاياها ، بسم الله مجراها ومرساها » .

وقد آثرت أن أنقل هذا المقال — دون غيره — كاملا ، لأنه فى الواقع

يمثل جزءا هاما من تلك المرحلة الإنشائية فى كتاباته ، وحتى نتبين من خلاله لون أسلوبه الصحفى ، وطريقة صياغته التى سلك بها هذا السبيل .

وحسبك أن تلقى نظرة على سطور هذا المقال ، لترى منذ البداية ، هذا الاستهلال الذى يحتذى به حذو المطالع التقليدية للقصص والحكايات الشعبية القديمة ، والتى تبدأ غالبا بعبارة :

« يحكى أن ... » فما تكاد تقرأ فى البداية قوله: إنه لما نظر كل قاص ودان ، واشتهر بين بنى نوع الإنسان ، أن مملكة مصر كانت فى سالف الزمان ، مملكة من أشهر الممالك . . الخ ، حتى يخيل إليك أن كلمة «يحكى» قد سقطت سهوا من الكاتب ، أو من المطبعة على حد سواء .

ثم تتجسد لنا مواكبة الشيخ طريقة عصره فى الكتابة ، حيث الحفاوة باللفظ ، والعناية بتوشية الجمل والعبارات بألوان من المحسنات وذلك ماينراءى بجلاء فى مقال الشيخ ، وحرصه على أن يجعل من السجع والجناس لبنات يشيد بها صرح هذا المقال ، من بدايته إلى نهايته .

وكأنه من غير اللائق فى الكتابة ، أن ترى العبارة وقد برئت نهايتها من قيد الموافقة أو السجع لسابقتها أو لاحقتها ، أو كأن الإبداع يكمن فى هذا اللون من الكتابة ، لا فى سلاسة التعبير ، ويسر النطق ، وخفة الوقع على السمع ، مع القدرة على انتقاء الألفاظ والعبارات للوفاء بالمراد .

ويمكننا أن نتخير بعض تلك التراكيب الحاشدة فى أسلوب المقال ، لمجرد الاستئناس ودعم القول .

فلنقرأ له مثلا قوله عن « التمدن » : « .. فاستقبلته الديار بغاية المسرة . واستردت ما كانت فقدت ، وأدنت ما كانت أنأت . . »

أو قوله : « ... فنظر إلى ما كان أبداه فى تلك الأزمان ، من شواهق البنيان ، التى كم بلغت الأسباب ، وحيرت الألباب ، وأنبأت بما فيها ، عن براعة بانيها ، ونطقت بغيها ، إن آيات الكمال فيها .. الخ » .

فقد تزاحمت فى أسلوبه الكلمات ، وتكررت الحروف ، وتشابهت الفواصل بين الجمل ، دون ضرورة أو دافع بنائى أو تركيبى ملح .

كما يبدو بوضوح أيضا ، ذلك اللون من الحرص على ازدواجية التعبير وتركيب الكثير من الجمل أو العبارات ، بألفاظ تباينت أشكالها والتقت أهدافها ومعانيها ، وهو مايسمى بـ « الترادف » ، وقد حشد لذلك أعدادا هائلة من الكلمات والمفردات اللغوية . التى تدل على رصيده الكبير منها .

ولنقرأ له على سبيل المثال فى هذا اللون أيضا قوله فى بداية المقال : « .. فكان أبناء العالم يغتدون نداها ، ويستجدون جداها ، ويستمطرون من الغيث قطراً ، ويستمدون من المحيط نهراً . » .

ثم قوله بعد قليل من هـذا . « .. وتناوشته أيدى الجاحدين ولفحته أقوال المنكرين ، ولا زال يحتمل أنواع المتاعب ، ويقامى مستعصيات المصاعب ، إلى أن بلغ بها أشده ، وملك رشده .. » وهو كثير و كثير كما رأينا .

فإذا ماانتقلنا إلى فكرة المقال ، فإننا نجدها تدور حول الوطن ، وتكمن فى أصالة حبه لمصر ، ورغبته فى جذب أنظار العالم إلى آيات المجد ، ومعالم الحضارة الرابطين فيها ، وأن إنشاء مؤسسة الأهرام الصحفية ، يعد وسيلة عصرية لربط الماضى بالحاضر ، وتجسيد دور مصر الرائد فى الدعوة إلى نهضة الفكر ، ويقظة الوعى لدى الشعوب .

ولا شك فى أن الشيخ قد وفق فى استعمال الوسائل التعبيرية التى أدنت

له غايته وحققت له مراده ، وأنه لولا حرصه على الصنعة اللفظية ، لبدت المعانى المقصودة أكثر إشراقا ووضوحا .

أما الخيال فى هذا المقال ، فهو — كما يبدو — جامح ، يحلق على غير مثال سبق ، إذ يصور «التمدن» وقد رحل من مصر إلى أوربة فترة طويلة لم يأنس خلالها بمهيئات البقاء له هناك فيعود إلى مصر المعطاءة مرة أخرى حيث يلقى من الحفاوة والإكرام ما ينطق لسانه بالشكر لها والإعجاب بأهرامها ، ويرى أن من الوفاء وحسن التقدير لها ، أن يشيد بها أهراما أخرى ، هى هذه الجريدة التى أسست قواعدها فى القلوب ، وامتدت مبانيها لكشف الغيوب ، كما يقول .

وبهذا تبدو ملامح الأسلوب الصحفى للشيخ محمد عبده ، فى أولى مراحله منذ سجل تقريظه هذا لجريدة الأهرام الأسبوعية فى مستهل حياته الصحفية وعلى وجه التحديد فى سبتمبر ١٨٧٦ م .

فتراه فيه أسلوب الشاب المبتدىء ، والملزم نفسه ما لا يلزم ، من ترداف الألفاظ والجمل ، وتحرى ألوان الجناس ، وعدم الغفلة عن ختم الفواصل من العبارات بالسجع ، وغير ذلك من المحسنات اللفظية ، التى تعمد بها الوقوف بين غيره من الرواد الصحفيين فى عصره ، منذ عرف هذا الطريق ووضع عليه أولى خطاه .

وسوف نكتفى بنموذج آخر من كتابته — قبيل نهاية هذه المرحلة — دعما لقولنا : واكتفاء بالإشارة لأولى الألباب .

وحسبنا فى ذلك بعض هذه المقتطفات من مقالة : « العلوم الكلامية والدعوة إلى العلوم العصرية » فى جريدة الأهرام « العدد السادس والثلاثون ، وأعداد بعده » (١)

---

(١) أنظر تاريخ الإمام حـ ٢ ص ٣٨ وما بعدها .

وفى هذا المقال يكشف الشيخ الغطاء عن بصيرة الغافلين ويدعو إلى ضرورة النهوض والمسايرة لموكب الحياة ، بالجمع بين الأمرين : والتأكيد على أهميتهما معا ، للرقى بالمجتمع ، والأخـــذ بيده إلى مراقى التقدم والازدهار .

فيقول فى مستهل مقاله : « كلما تناسينا عهد جاهلية العرب ، وما كان من مقتضيات الجهالة فى تلك الحقب ، ومنينا أنفسنا بأننا صرنا فى نشأة أخرى ، وتقدمنا إلى الأمام بعد أن كنا إلى القهقرى، واستصبحنا بمصباح الأمال ، فى ليـل الضلالة والأختلال ، وهمت أفكارنا بتحصيل ما سبق إليه غيرنا ، تذكرنا حوادث الأيام ، بأننا مازلنا فى أول نقطة من ذلك الزمن الأول بل كان ذلك على تنزل منه إلى أسفل ، وتثنى آمالنا ، عن تقدم أهالى أوطاننا .. »

ثم ينعى الشيخ بعد ذلك ، تحجر العقول وتلبد الأفهـام ، فيرسم للمجتمع المتخلف ، صورة الرجل الذى يجارى رفاق جهله ، فيحرم ابنه من طلب العلم ، لمجرد علمه برغبة ابنه فى تعلم المنطق والكلام ، ويقول فى حق هؤلاء :

« .. تباً لهذه العقول ، وبئست عواقبها وما إليه أمرها يؤول وإنى لأتعجب من هؤلاء الاخوان فى الوطن ، وأرباب البصائر والفطن كيف مالت بهم الحرارة إلى الهبوط ، حتى آل أمرهم إلى السقوط .

وياعجبا ! إذا لم تصرف الفكر فى تقويم البراهين وتسديدها ففى أى شى نصرفه ؟ إنه إن ضل عنا رشادنا وغاب سدادنا فهل بشىء سوى الدليل نعرفه ؟ .

والشيخ كما ترى يوظف الكلمات فى أسلوبه لخدمة غايته ويستخدم

المنطق فى عباراته ، للتأكيد على أهمية دعوته ، وجليل أثره فى البرهنة والاقناع به ،

ثم يلقى بعد ذلك أضواءه على كل من العلوم الكلامية ، والعلوم العصرية ، ويرى ضرورة الربط بينهما برباط متين ، فيقول :

« وليت شعرى إذا كان هذا حالنا بالنسبة إلى علوم قد أرضعت ثدى الاسلام وغذيت بلبانه ، وتربت فى حجره وتقلدت فى إيوانه ، فى زمن يزيد عن ألف سنة ، وتناولتها أيدى الخلص ، وتناقلتها عنهم الألسنة ،

فما حالنا بالنسبة إلى علوم جديده مفيدة ، هى من لوازم حياتنا فى هذه الأزمان ، وكافة عنا أيدى العدوان والهوان وأساس لسعادتنا ، ومعيار لثروتنا وقوتنا ، لابد لنا من اكتسابها ، وبذل المجهود فى طلبها .. » .

وهكذا يسلك الشيخ سبيل الكتابة الصحفية فى جريدة الأهرام ، تحمل كلماته فيها بريق دعواته إلى الاصلاح ، ورغبته فى نهضة الشعب ، ويقظة بنى الوطن لما ينبغى أن تكون عليه أمته ، وذلك من خلال قنوات تعبيرية غير متباعدة الصياغة فى الشكل والصورة ، وإن تباين فيها المضمون والغاية كما أسلفنا .

وتظل هذه سمات أسلوب الشيخ ، حتى بداية كتابته فى جريدة «مصر» وعلى وجه التحديد أيضا فى « يونيو ١٨٧٩ م .

حيث تبدو لنا فى كتابته الجديدة ، تلك الانتقالة الأسلوبية التى تجعلنا نعتقد أن الشيخ محمد عبده ، كان قد انخـــذ من جريدة الأهرام الأسبوعية ، تكئة يعتمد عليها فى صقل مواهبه وأسلوبه الصحفى .

فأخذت تنساب الجمل والعبارات فى مقالتيه بجريدة «مصر» دون التزام بقيد السجع ، أو ارتباط بين الفاصلتين بحرف مشترك ، فارتسمت بهذه الاستقلالية فى التعبير . بعض ملامح التطور فى الأسلوب، بصورة لم تكن موجودة فى كل ما نشر له من قبل فى جريدة الأهرام .

ولنقرأ له على سبيل المثال مقالته التى نشرت له بجريدة «مصر»(١) وهى إحدى مقالتين اثنتين ، لم يكتب الشيخ محمد عبده غيرها فى هذه الجريدة . ولم تكن له فى كلتا المقالتين غير العبارة والأسلوب ، إذ كانت الفكرة فيهما لأستاذه جمال الدين الأفغانى كما يقول السيد رشيد رضا .

وفى هذه المقالة المعنونة «فلسفة التربية» يلفت الأنظار وينبه الأسماع إلى وجوب إسناد أمر التربية إلى أصحابها وذويها فعلى أيديهم يكون خير الأمة وبهم تكون سعادتها فيقول :

« . . . فالحكماء العمليون القائمون بأمر التربية والإرشاد بمنزلة الأطباء وكما يجب على الطبيب البدنى ، أن يكون على علم تام بمنافع الأعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحانى أن يكون عالما بمنافع الأخلاق ومضارها ، على طبق ما فى نفس الأمر الواقع».

ثم يقول : «أولئك هم المرشدون الحقيقيون ، فإن رزقت الأمة بمثلهم فبشرها بالسعادة ، وإن رزئت بمطبين لا أطباء ، بأن صعد على منابر النصح فيها الجهلة والأغبياء ، والسفلة والأدنياء ، فأنذرها بالعناء والشقاء ، فإن المرشد العنال والنصوح الجاهل يودع النفوس رذائل الأخلاق باسم أنها فضائل ، ويغرس فيها جراثيم الشر باسم أنها أصول الخير ، ولربما كان

---

(١) أنظر مجلد جريدة مصر «العدد الصادر فى أول يونيو ١٨٧٩م»

مقصده حسنا . ولا يريد إلا خيرا ، ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه، ويبعده عن اتخاذ وسائله ، فتقع الأرواح فى الجهل المركب ، وهو شر من الجهل البسيط».

وبنظرة عابره إلى هذه المقتطفات من المقال ، نرى أن الكثرة الغالبة من جمله وعباراته فيها ، قد انفرط عقد قيدها اللفظى ، ولم يعد للسجع فيها تلك الحتمية السالفة فى مقالاته، وأن ألوان الترادف والازدواج، والجناس والمقابلة والنورية وغيرها من البديعيات، لم تعد حاشدة متراكمة فى صياغته الجديدة ، كما بدت من خلالها المعانى أكثر وضوحا وأقرب مأتى مما كانت عليه فى صياغته خلال تلك المرحلة المبكرة من عمر كتابته الصحفية .

ثم يتخذ الشيخ بعد ذلك سبيله إلى مشارف السلامة من تلك الموشيات وتتراءى فى كتابته ألوان من المحاولات الجادة، للتخلص من أغلال الصنعة التى كانت تحول دون الوصول بيسر إلى الهدف أو المقصود من مقالاته السابقة ، وذلك بعد . أن عينه « رياض باشا» مترجما لإصلاح لغة الوقائع المصرية ، ثم صار رئيسا لتحريرها، كما عينه — فى هذه المدة أيضا — مراقبا على كتابة الجرائد وتحريرها(١) . الأمر الذى أتاح للشيخ ما كان بحاجة اليه من أسباب الانطلاق الفكرى فى مجالات كثيره .

فنرى أسلوبه الصحفى الجديد، وقد رقت عبارته ، وعذب لفظه، وبدأ الاتجاه فيه إلى المعانى والغايات . داخل إطار من الموضوعات العصرية الملحة والمقترحات الوطنية الهـــامة ، ثم مواجهة الحكومة بها فى صورة لاتضيع بها جهوده سدى . ولا يعود على المواطنين من جرائها غير النفع.

وها هى ذى مقتطفات من كتاباته فى جريدة الوقائع المصرية، تكشف

---

(١) الوسيط فى الأدب العربى تاريخه ص ٣٣٨

لنا بعض اتجاهاته الفكرية ، ودعواته إلى الإصلاح ، وتلقى لنا الضوء على لون أسلوبه الصحفى فى هذه المرحلة التى تعد فى واقعها : منطلقه الحقيقى إلى ما تفرد به . ونسب اليه بعد ذلك من سمات الجمال والجلال فى الكتابة الصحفية .

ولنقرأ له هذه المقتطفات من مقاله الأول عن « المعارف » فى جريدة « الوقائع »(١) وقد صاغه - كما يقول تلميذه -(٢) فى صورة أسئلة وجهت اليه من عامة الناس - حتى لا يحدث له مالا يحمد عقباه - كما كانت هذه الطريقة هى إحدى حيله ، ورمزا لثاقب فكره وبعد نظره .

وفى هذا المقال يتناول « العلم » ويظهر جوانب فضله . ويدعو إلى ضرورة انتشار التعليم ومحو الأمية والجهل من عقول وأفئدة الكثرة الهائلة من المواطنين .

ويستخدم فى أسلوبه ألوانا متعددة من وسائل التعبير تحمل فى طياتها شحنات من المشاعر والأحاسيس والحجج المنطقية التى تنفذ بيسر إلى أذهان المسئولين ، وتهدأ بها خواطر من فاتهم حظ التعليم فى ماضيهم ، فيقول فى حقهم :

« .. انهم اشتغلوا بتحصيل مادة المعاش ، ولهم شوق تام إلى كسب فضيلة العلم ، فلا تساعدهم أحوالهم بالضرورة على الرجوع إلى التعليم فى مكاتب الاطفال وتعطيل أسباب معاشهم » .

ثم يتحدث بلسانهم . ويرمى السهم بأيدهم ، ليصيب من قلوب المسئولين

---

(١) أنظر مجلد « الوقائع » العدد (٩٩٠) بتاريخ ١٨ من المحرم ١٢٩٧م - ٢٠ من ديسمبر ١٨٨٠م .

(٢) أنظر تاريخ الإمام ج ٢ ص ٦٩

الهدف . فيقول بعد ذلك : « إن الكثير منهم يود أن تكون فى البلاد مدارس ليلية ، يتدارسون فيها بعض ما فاتهم فى الازمنة السابقة ، أزمنة جهل آبائهم ، لعلهم بذلك ينفعون أنفسهم وبلادهم بأكثر مما يقدرون عليه الآن » .

ولكنه يعود ليرسم بأسلوبه السهل ملامح الخيبة وقد بدت على وجوه هؤلاء المواطنين ، عندما تبينوا أن هذه المدرسة لا تعود بالنفع عليهم ، لاشتراط التدريس فيها باللغة الفرنسية خاصة ، ولا يقبل فيها إلا من كان عنده مبادىء الرياضيات والطبيعيات . وله تقدم فى اللغة الفرنسية :

ثم تبدو عبارات السخرية من هذا القرار الوزارى ، وما قد يجره على الموطنين من أضرار فيقول غير يائس من تعديل مساره وتحقق أمله بتحقق هذا الإصلاح فى مجال التعليم .

« .. إننا لم نسمع أن أمة معمدنة ، افتتحت مدرسة عالية ، وجعلتها ليلية فلم تعدل عن هذه الطريقة الجليلة فى بلادنا ، واخترعت طريقة جديدة . وهى جعل التدريس فى المدرسة الليلية بلسان أجنبى عن لسان البلد بالكلية لا يفهمه المتفنن منهم ، ولا العامى ، والعلوم التى يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس الذين هم أحوج إلى التعليم وأولى به ، وهم الخدمة وأرباب الكسب . المحبون لنيل فضيلة العلم ولا يستطيعون ، ويتلهفون على ذلك ولا يجدون ، وهو مما يوجب الأسف . خصوصا وقد تواتر على الألسنة أن عالب من قبلوا فيها أجانب .

ثم يختتم فقرته هذه مستخدما أسلوب التسديد بهذا الفرار وتبكيت القائمين على أمره بقوله .

« هل يقال بأننا تقدمنا عن تلك الممالك ، فترقينا حتى صارت مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم ؟ أن كان الامر كذلك فالاولى ألا نتكلم » .

وكما هو شأن المسلمين ممن لاتلهيهم شهوة الرياء وجلجلة الصوت عن عن واقع النفع وجليل الأثر ، نجد الشيخ لايترك الأمر هكذا دون أن يضع على الحروف نقاطها وعلاماتها ، وأن يبدى للمسئولين رأيه ، مقترحا عليهم ما يمكن عمله ويكمن فيه الخير لأمته ، فيقول :

« وإنا وحق الحق لفى حاجة كلية إلى أن يكون التعليم الليـــلى عندنا مستديما ، أخذا من البداية سهل الوسائل ، ميسر الأسباب بلغة بلادنا عامة أو خاصة ، حتى تنقطع حجة الجاهل ، ويبطل برهان الكاسل ، وتنبعث الغيرة فى الكل إذا أقبل البعض على التعليم ، ويقع التنافس فى الفضائل ، ويجد الشباب الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا ، وتوبخهم الذمة ، وتلعنهم ضمائرهم إذا تركوه . . . »

وهكذا ، تنساب الكلمات بيسر فى مقال الشيخ ، ويبد أسلوبه الجديد ، مسترسلا ، عذبا ، آخذة جمله وعباراته بحجز بعضها ، دون تكلف أو صنعة داعما قوله بالحجة ، ومنتقيا من الألفاظ والعبارات مايفى بمراده ، ويوضح الغاية من المعانى المقصودة وراء كلماته .

وحسبنا أن نلقى نظرة على مقتطفات أخرى ، وفقرات موجزة من بعض مقالاته ، فى عدد من الصحف والمجلات التى سال مداد قلمـــه على صفحاتها خلال هذه المرحلة ، مطالبا — كسابق عهده — بالإصلاح السياسى والاجتماعى ، والدينى ، واللغوى ، حتى نهاية حياته كى نقف على حقيقة ما قلنا ، وتكتمل لذوى البصيرة والبصر ، ملامح التطور التى أشرنا إليها فى أسلوبه الصحفى ، من خلال ما قدمنا ، وما سنقدم له من أعمال فى هـذا المقام .

ولنبدأ بما كتبه الشيخ بعد قيام الثورة العرابية ، ونفيه عن البلاد ، ودعوة أستاذه وصديقه الشيخ جمال الدين الأفغانى له فى باريس ، حيث

ذهب إليه ، ثم أصدرا معا صحيفة « العروة الوثقى » التى خرج فيها الشيخ المصرى — كما يقولون — عن الدائرة الضيقة التى كان يعمل فيها لإصلاح الفساد فى مصر ، على صفحات الجرائد السابقة إلى دائرة أرحب وأفسح ، تلك التى شارك فيها أستاذه الأفغانى بالعمل لصالح الكافة من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

وقد تخيرنا من هذه الجريدة ، مقالته التى عنون لها بقوله :

« الأمة وسلطة الحاكم المستبد »(١) ، وابتدأها بقول الله تعالى : « وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »(٢) .

ثم أتبع هذه الآية الكريمة بقوله : « إن الأمة التى ليس لها فى شئونها حل ولا عقد ، ولا تستشار فى مصالحها ، ولا أثر لإرادتها فى منافعها العمومية ، وإنما هى خاضعة لحاكم واحد ، إرادته قانون ، ومشيئته نظام ، يحكم مايشاء ، ويفعل مايريد فتلك أمة لاتثبت على حال واحد . ولا ينضبط لها سير ، فتعتورها السعادة والشقاء ، ويتداولها العلم والجهل ، ويتبادل عليها الغنى والفقر ، ويتناوبها العز والذل ، وكل مايعرض عليها من هذه الأحوال ، خيرها وشرها ، فهو تابع لحال الحاكم . » .

كما تتراءى فى أسلوبه جزالة اللفظ ، وقوة المعنى ، وبراعة التصوير ، حين يرسم بالكلمات والجمل ، صورة الأمة وهى مزدهرة بعدل حاكمها وحسن سياسته وعلمه وحزمه ، ثم صورتها وهى تهوى من قبضة الحاكم الجاهل بين مخالب الغزاة الطامعين ، فيقول فى هذا الجزء من المقال موضحا سوء المصير .

---

(١) انظر مجلد « العروة الوثقى » العدد ١٤ بتاريخ ١٤ من أغسطس ١٨٨٤ م .

(٢) سورة النحل الآية ١١٨

« . . . فتفسد الأخلاق ، وتخفض الكلمة ، ويغلب اليأس ، فتمتد إليها أنظار الطامعين ، وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها فى أحشاء الأمة » .

ثم يتدرج أسلوب الشيخ فى سرد سومات مثل هذا الحاكم ، حتى يجهر بدعوته إلى خلعه مادام هذا حاله ، واجتثاث شجرته ما بقى ذلك شأنه ، ويطالب أولى الرأى وأرباب الهمة فى الأمة ، أن يتعاونوا على ذلك ، قبل أن تنشر الرياح بذورها وسمومها بين أفراد الأمة ، فتميتها ، وينقطع الأمل فى العلاج .

وفى النهاية يقول : « وإن انحطت الأمة عن هذه الدرجة وتركت شئونها بيد الحاكم الأبله ، الغاشم ، يصرفها كيف يصرفها ، فأنذرها بمض العبودية ، وعناء الذلة ، ووصمة العار بين الأمم جزاء مافرطوا فى أمورهم ، وما ربك بظلام للعبيد »(١) .

ولايخفى أثر صحبة الشيخ لأستاذه الأفغانى فى هذا المقـــال من حيث المواجهة الجريئة لتيار الحكم ، بصورة لم نألفها من قبل فى كتابته الصحفية إذ كان الشيخ الأفغانى مركز إشعاع فكرى ، ومصدر قوة إصلاحية لاتقف أمامها الحواجز ، ولا تقدر على مواجهتها الصعاب والأرزاء .

وعندما يعود الشيخ الإمام من باريس إلى وطنه « مصر » تتدفق من مداد قلمه الخواطر ، وتثرى بمقالاته فى مختلف الصحف المقترحات الداعية إلى الإصلاح ، دون رهبة أو خشية إلا من الله سبحانه وتعالى .

ومما قاله الأستاذ محمد عبده بجريدة « الأهرام » الأسبوعية(٢) .

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٦

(٢) انظر العدد [٤٧٣] من جريدة الأهرام فى ١٣ من أغسطس ١٨٨٥ م .

بعد تركه لباريس وحضوره إلى « سورية » مقالة بعنوان : « المسألة الهندية » وهى لاتبعد كثيرا عن مثيلاتها « السياسية » فى جريدة « العروة الوثقى » التى كان صاحب « المنار » يعتبرها من نفثات السيد جمال الدين فى قلم محمد عبده(١) .

كما كان يقول : إن الحكيمين (جمال الدين ومحمد عبده) كانا يرجوان من تحرش الروسية بالهند فى تلك السنين ، أن يفضى إلى ترك الإنجليز لمصر والسودان ، فلذلك كانا يعظمان شأن ذلك التحرش .

وسوف نكتفى بالفقرة الأخيرة من هذا المقال لوفائها بالغرض فى هذا المقام وفيها يقول :

« بقى شىء فى مجمل خبرنا نذكره تتميما للبحث ، وهو أن للدولة العثمانية شأنا فى المسألة الهندية لايسوغ إنكاره ، فإن لها عدة كافية ، وقوة وافية يمكنها أن تستخدمها لآرائها السياسية متى شاءت ، تلك قوة خمسة وأربعين مليونا من المسلمين أهل السنة يعتقدون أنها دولة الخلافة ، وأنها مرمى آمالهم فى تخليصهم من أيدى الأجانب » .

ثم يقول : « ولو أن لدولة أخرى قوة مثل هذه القوة ، لرأينا جوادها المجلى فى هذه المباراة ، ولكن مما يوجب الأسف ، أن هذه العدة ربما تتبدد وتلك القوة تضمحل ، ولايكسب رجال الدولة من اهمالها إلا ما يكسبه باذل ماله لعدوه .

وفقهم الله للسداد فى آرائهم ، والصلاح فى أعمالهم .

وفى اعتقادى — بعد قراءة هذه العبارات من مقاله هذا — أن نظرة واحدة أخرى على سابق قوله وأولى كتاباته الصحيفة من هذه الجريدة نفسها(٢) جديرة بتوضيح الرؤية ، وتجسيد ملامح التطور التى اكتسبها أسلوبه

---

(١) تاريخ الإمام ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٢) انظر ص فى هذا البحث .

الصحفى خلال تلك الفترة الزمنية الوجيزة : (١٨٧٦ — ١٨٨٥ م) والتى ظل بعدها فى صعود على درج الرقى ومشارفة الكمال فى باقى كتاباته .

ومن ذلك أيضا ، ما نشرته له جريدة « ثمرات الفنون »(١) اليبروتية ، (بعد عودته من سورية إلى مصر) وهى مقالة بعنوان : « اللغة الرسمية فى المحاكم الأهلية بمصر » .

وفى هذا المقال تبدو غيرة الأستاذ الإمام على وطنه ولغته ، ورغبته فى كبح « المتفرنجين » ، ومقاومته لتيار الفساد الأوربى ، الذى يهدف إلى طمس ملامح الوطنية العربية ، مبتدئه بالدين واللغة ، ومنتهية بالقضاء على العادات والتقاليد .

فيقول فى مقام الدفاع عن لغته ووطنه : « .. ثم بلغنى بعد ذلك أن مرافعة وقعت فى المحكمة الابتدائية فى مصر باللغة الفرنساوية وأن رئيسها مع أنه من أهل التقى والاستقامة وذوى الدراية ، قد أذن فى ذلك ، ولم أعلم كيف كان منه الإذن ؟

ثم لم أدر كيف سكتت نظارة الحقانية على ذلك ، ولم تصدر أمرها بالتحذير من تكرر الوقوع فى مثله ؟ ولعـــل نشر ذلك فى جريدتكم : « ثمرات الفنون » ينبه غافلا ، أو يستلفت من يجب عليه الالتفات ، وأملنا أن هذه الوزارة الرفيعة الشأن ، تراقب ما يقع فى المحاكم ، من مثل هذه الهفوات ، وتنبه الأعضاء والرؤساء على ما يخالطون منها ، وتعرفهم مواضع الخطأ فيها ، فإنها تكون فى نظر بعض الناس جزئيات ، ولكنها فى نظر العارفين منازع لكليات ، وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه صلاحنا ، ويرشدنا إلى سبيل فلاحنا .

---

(١) انظر العدد [٧١١] من جريدة « ثمرات الفنون » فى ١٣ من ربيع الآخر ١٣٠٦ هـ .

وهكذا ، تتجسد الدعوة إلى دوام اليقظة وعدم الغفلة من المواطنين عما يهم وطنهم ، ودينهم ، ولغتهم ، فى كتابات الشيخ ، وحسن تخيره للموضوعات الحية ، والدائرة على ألسنة الناس ، أو التى تشغل حيزاً كبيرا فى أذهانهم ، ثم يصبها فى قوالب ملائمة من التعبير الجيد ، والتصوير الدقيق ، مؤيداً قوله بما يدعو إليه المقام من صحة أو برهان .

ولعل مقاله فى جريدة « المنار »(١) يغنى ببيان أسلوبه عن المزيد من قولنا ، ويلقى بدوره الضوء على ما أصبح عليه أسلوب الشيخ من يسر ، وعذوبة ، وحسن تأت للمراد ، وهو بعنوان : « آثار محمد على فى مصر » .

وفى هذا المقال تبدو مهاجمة الشيخ محمد عبده لمحمد على ، وإظهاره لبعض السوءات التى لحقت بالبلاد فى عهده ، كما يلفت الأنظار أيضاً إلى جوانب الإصلاح التى غفل عنها ، وكان يمكن توافرها أو الحرص عليها فى عهده ، فيقول بأسلوب الساخر :

« ما الذى صنع محمد على ؟ لم يستطع أن يحيى ، ولكن استطاع أن يميت وكان معظم قوة الجيش معه ، وكان صاحب حيلة بمقتضى الفطرة ، فأخذ يستعين بالجيش ، وبمن يستميله من الأحزاب ، على إعدام كل رأس من خصومه ، ثم يعود بقوة الجيش ، وبحزب آخر على من كان معه أولا ، وأعانه على الخصم الزائل فيمحقه ، وهكذا .. » .

كما يقول عنه أيضا : « .. أخذ يرفع الأسافل ويعليهم فى البلاد والقرى ، كأنه كان يحن لشبه فيه ورثه عن أصله الكريم ، حتى انحط الكرام ،

---

(١) أنظر مجلد « المنار » العدد الصادر فى غرة ربيع الأول ١٣٢٠هـ/٧ من يونيو ١٩٠٢ م .

وساد اللثام ، ولم يبق فى البلاد إلا آلات له . يستعملها فى جباية الأموال، وجمع العساكر ، بأية طريقة ، وعلى أى وجه » .

ثم يعاود السخرية والاستهزاء والاستهانة بكل ما تم فى حياة محمد على من أعمال ، مستخدما المزيد من أدوات الاستفهام المفصحة على مراده من أسلوبه فيقول :

« .. ماذا صنع بعد ذلك ؟ هل تفكر يوما فى إصلاح اللغة :(عربية، أو تركية ، أو أرفؤودية ؟) هل تفكر فى بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب ؟ هل خطر بباله أن يجعل للأهالى رأيا فى الحكومة ، فى عاصمة البلاد ، أو أمهات الأقاليم ؟

هل توجهت نفسه لوضع حكومة قانونية منظمة ، يقام بها الشرع ، ويستقر العدل ؟

لم يكن شىء من ذلك ، بل كان رجال الحكومة ، إما من الأرتؤد، أو الجراكسة ، أو الأرمن المورلية ، أو ما أشبه هذه الأوشاب وهم الذين يسميهم بعض الأحداث من أنصارهم اليوم: دخلاء .

وكانوا يحكمون بما يهوون ، ولا يرجعون إلى شريعة ولا قانون وإنما يبتغون مرضاة الأمير ، صاحب الإقطاع الكبير .. » .

ولو أننا نظرنا إلى مقال آخر له فى مجلة « الجامعة العثمانية » (التى كانت تصدر فى الأسكندرية)(١) لوجدنا أن الشيخ محمد عبده لم يكن سخطه على الحاكم لشىء فى نفسه ، وإنما كان يبتغى بقوله فيه، وجه الله ثم صالح الوطن، وذلك ما يؤيده بقوله فى هذا المقال من «مجلة الجامعة العثمانية» تحت عنوان (إنما ينهض بالشرق مستبد عادل » .

---

(١) أنظر تاريخ الإمام ص ٣٩٠

وفى هذا المقال ترسم كلمات الشيخ صورة الحاكم ، وما يجب أن يكون عليه أمام شعبه ، كما يجسد على وجهه ملامح الخير وسمات الجلال ، حتى وإن عبس جبينه أو قطب وجهه ، فيصفه الشيخ بأسلوب الصحفى البليغ ، والأديب المبدع ، قائلا :

« مستبد : يكره المتناكرين على التعارف ، ويلجىء الأهل إلى التزاحم ، ويقهر الجيران على التناصف ، يحمل الناس على رأيه فى منافعهم بالرهبة ، إن لم يحملوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة .

عادل : لا يخطو خطوة ، إلا ونظرته الأولى إلى شعبه الذى يحكمه ، فإن عرض حظ لنفسه ، فليقع دائما تحت النظرة الثانية فهو لهم أكثر مما هو لنفسه » .

ثم يقول : « ربما لا يتيسر لرجل واحد أن يشهد هذا الأمر من بدايته إلى نهايته ، ولكن الخطوة الأولى هى التى لها ما بعدها ويكفى لمدها خمس عشرة سنة ، وما هى بكثير فى تربية أمة فضلا عن أمة » .

وفى نهاية مقاله ، تمتزج فى أسلوبه مرارة اللوعة والحرمان من هذا الحاكم ، بحلاوة الأمل والرجاء فى وجوده وإشراقة فجر هذا اليوم المنشود ، فيقول :

« هل يعدم الشرق كله مستبدا من أهله ، عادلا فى قومه ، يتمكن به العدل أن يصنع فى خمس عشرة سنة . ما لا يصنع العقل وحده فى خمسة عشر قرنا » ؟

وبهذه الصورة الزاهية للأسلوب الصحفى ، تراءت عبارات الشيخ ، وصوره وأخيلته ، لا تحول بينها وبين وعى القارىء ، أو السامع صعاب ، ولا يناى بها عن المراد إبهام أو تعقيد .

ومن هنا يبدو لى أن الأسلوب الصحفى للإمام : بدأ شيخا وانتهى شابا وأن هذه الحقيقة (غير المألوفة لحياة البشر) قد تأكدت لنا فى أسلوبه ، منذ رأى الأستاذ الإمام لغة الضاد وقد أصابها إعياء الكتاب، وحاصرتها عجمة المتأدبين ، كما رأى أفق الدين ، وقد تكدر صفو سمائه بالعديد من سحب البدع ، وغيـــوم الضلالات ، وتراءت له أبنية المجتمع ، وقد صدعت جدرها معاول الفساد الخلقى . والسياسى ، فأخذته الحمية الدينية، ودفعته الغيرة على اللغة ، والوطن ، إلى استلال قلمه وشحذ يراعه ، والنزل به إلى ساحة الصحافة ، باعتبارها أقصر السبل إلى الإعلام والمعرفة .

وكما أسلفنا ، فقد كانت أولى محاولاته الكتابية ، فى جريدة الأهرام الأسبوعية ، التى ألقينا على أسلوبه فيها مزيدا من الضوء ، حيث تكشفت لنا فى كتابته على صفحاتها بعض «التجاعيد» المسماة عند النقاد بالصنعة اللفظية ، التى قيد نفسه بأغلالها ، مسايرة لموكب الأدباء المبدعين آنذاك .

ثم أخذت « أسارير » أســـلوبه فى « الانفراج » بعد قرابة ثلاثة أعوام ، حين ظهرت أولى مقالاته فى جريدة : « مصر » (يونيو ١٨٧٩ م) .

وقد رأينا فى أسلوبها : تلك المحاولات الجادة للتخلص من الموشيات أو البديعيات السابقة فى كتاباته ، كما بدا فيها أيضا الاهتمام بالمعنى أكثر من اللفظ .

ثم كانت المرحـلة الثالثة والأخيرة فى تطور الأسلوب ، وهى التى كشفت لنا كتابته فيها عن ملامح «النضرة» و « فضاء التعبير » منذ هيئت للشيخ فرصة العمل الرسمى فى جريدة « الوقائع المصرية » (ديسمبر ١٨٨٠م) .

وقد ساعده ذلك على مراقبة ماينشر فى الصحف ،ويكتب فى الدواوين فاهتبل هذه الفرصة ، وأخـذ يدبج الفصول فى محاسن الأساليب وخطأ التراكيب ، ويقارن بين الجيد منها والردىء والحديث والعتيق ، وينشر لنفسه بعض النماذج ، لما يجب أن يتضمنه الأسلوب من عناصر وسمات فنية ، تعليما للنشء ، وتدريبا للراغبين فى سلك هذا السبيل .

ولقد راض الأسلوب الصحفى تماما فى هذه المرحلة ، لقلم الشيخ وعلمه وموهبته ، فبدت فيه : شمولية النظرة الإصلاحيةوقد اكتست أرق أردية التعبير ، فشفت الألفاظ عن المعانى وتجردت العبارات والجمل من شوائب الصنعة ومساحيق الشكل مع اتجاهه إلى الاستقصاء وتتبع الجزئيات لإظهار الكليات ، ودعم القول بالبرهان فى كل مادعت إليه الحاجة من أفكار ، أو مقترحات .

وأعتقد أن فيما قدمناه من نماذج للكتابة الصحفية فى هذه المرحلة ، وسابقتيها ، مايؤكد غايتنا من هذا البحث ، ويغنى عن المزيد من البيان .

وحسبنا بهذا العمل أننا قد ألقينا الضوء على بعض النقاط الهامة التى لم تتح لها فرصة الظهور قبل وقتنا هذا ، وهى :

• ماأكدناه بالأدلة القاطعة ، من أن الجهود الصحفية للإمام محمدعبده — وحده — كانت العلامة المميزة فى نهضة الصحافة المصرية بعامة ، فى القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين .

• إبراز ملامح التطور التى صاحبت كتابات الشيخ الصحفية ، وتتبعها من خلال نماذج ومقتطفات لأسلوبه ، فى مختلف الجرائد والمجلات التى واكبت حياته الصحفية قرابة ثلاثين عاما .

• الكشف عن أحد الجوانب المغمورة فى حياة الشيخ وهو جانب النقد الأدبى ، المنبثق من دعوته لإصلاح أساليب اللغة العربية وآدابها .

وحسب الشيخ الإمام محمد عبده بعد هذا، أنه كان الزائد، والمجدد والمؤثر، لا فى أسلوبه وجهوده الصحفية فحسب، وإنما فى كل سبيل إلى المعرفة، أو اتجاه إلى الإصلاح فى عصره.

رحمه الله وأكرم مثواه.

الدكتور حلمى حسن أبو العز

أهم مراجع البحث

١ — تاريخ الإمام محمد عبده — محمد رشيد رضا

٢ — تاريخ آداب اللغة العربية — جورجى زيدان

٣ — تاريخ العصر الحديث — محمد صبرى

٤ — الأزهر وأثره فى النهضة الحديثة — د . كامل الفقى

٥ — الإسلام والتجديد — على عبد الرازق

٦ — الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه — الأسكندرى ، عنانى

٧ — زعماء الإصلاح — أحمد أمين

٨ — أدب المقالة الصحفية فى مصر — عبد اللطيف حمزة

٩ — الفكر الإسلامى الحديث — محمد البهى

١٠ — مجلد « جريدة مصر » — فى عام ١٨٧٩ م

١١ — مجلد « جريدة الوقائع المصرية » — فى عامى ١٨٨١/٨٠م

١٢ — « مجلدات جريدة العروة الوثقى » فى أعوام ١٨٨٤م/١٩٠١/١٩٠٢م

١٣ « مجلد مقالات العروة الوثقى » طبع الجبالى (مطبعة التوفيق ببيروت)

١٤ — مجلد « جريدة الأهرام الأسبوعية » — فى عامى ١٨٧٦ : ١٨٨٥م

١٥ — مجلد « جريدة ثمرات الفنون » — فى عامى ١٨٨٦ : ١٨٨٩م

١٦ — مجلد « جريدة المنار » — فى عامى ١٨٩٩/١٩٠٢ م